obeikandl.com

فضائل الصدقة

الإسلام هذا الدين العظيم، والحصن الحصين، له مبادىء وأوامر:

أمر بطهارة البدن من النجاسات بالغسل.

وطهارة القلب بالعبادة.

وطهارة النفس بالمجاهدة.

وطهارة الروح بالذكر.

وطهارة المال بالصدقة.

قال ابن حجر بسندٍ حسن مرفوع: **«إن الملائكة قالت: يا رب هل من خلقك شيء أشدّ من الحبال؟ قال: نعم الحديد، قالت: فهل من شيء أشد من الحديد؟ قال: نعم النار، قالت: فهل من شيء أشد من النار؟ قال: نعم الماء، قالت: فهل من شيء أشد من الماء؟ قال: نعم الريح، قالت: فهل من شيء أشدّ من الريح؟ قال: نعم ابن آدم يتصدق بيمينه فيخفيه عن شماله»**.

عن أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وصدقة السرّ تطفىء غضب الرب، وصلة الرحم تزيد في العمر»**[1].

عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنّ الصدقة لتطفىء غضب الرّب، وتدفع ميتة السوء»**.

---

(١) رواه الطبراني.

obeikandl.com

شرح الحديث:

يوصينا نبينا العظيم ﷺ ويرشدنا إلى السعادة الأبدية، فصنع المعروف هو هوية الإنسان ـ إن غاب أصله دلّك فعله ـ وصنائع المعروف عند أهله أو عند غير أهله، فأهل المعروف يبعد الله عنهم مصارع السوء.

هل تعلم أن الأسد يقول في زئيره: «اللهم لا تسلطني على صاحب معروف»، وصدقة السر تطفىء غضب الربّ، وهذه الصدقة التي يدفعها صاحبها للمستحق أو المحتاج دون تعيير أو فضيحة أنا أعطيت فلان كذا وكذا.

وصلة الرحم تزيد من العمر وتشعر الإنسان بلذة الحياة ومداها لترك القيل والقال، والانشغال القلبي بغير الله ﷻ.

الدليل القرآني

إن الصدقة هي وديعة عند الله ﷻ ينمّيها للمتصدق، ويردها إليه في يوم حاجته لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحديد، الآية: ١٨].

إن الله يحب المتصدقين، ويصرف عنهم البلاء لقوله تعالى: ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾ [يوسف، الآية: ٨٨].

بخيل يحرق بالنار

عن الضحاك عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: مرّ النبيّ ﷺ برجلٍ متعلق بأستار الكعبة وهو يقول: أسألك بحرمة هذا البيت أن تغفر لي، فقال له رسول الله ﷺ: **«يا عبد الله سل بحرمتك فإن حرمة المؤمن أعظم عند الله من حرمة هذا البيت»**، فقال: يا رسول الله إن لي ذنباً عظيماً. قال: **«وما ذنبك»**؟ قال: إن لي مالاً كثيراً، وإن ماشيتي كثيرة، وإن لي خيلاً كثيرة، ولكن الرجل إذا سألني شيئاً من مالي، فكأنّ شعلة من نار تخرج من وجهي، فقال رسول الله ﷺ: **«تنح عني يا فاسق، لا تحرقني بنارك، والذي نفسي بيده لو**

صمت ألف عام ثم مت لئيماً لأكبك الله في النار، أما علمت أن اللؤم من الكفر، والكفر في النار، والسخاوة من الإيمان، والإيمان في الجنّة»[١].

فضائل الصدقة

١ ـ أن فيها تطهيراً للمال: كما قال عليه الصلاة والسلام: «**ألا إن البيع يحضره اللغو، والحلف، والكذب، فشوبوه بالصدقة**».

قال محمد بن الفضل بإسناده عن رجل من أهل البصرة، قال: «كان أعرابي صاحب ماشية، وكان قليل الصدقة فتصدق بسخلة من غنمه ضعيفة، فرأى فيما يرى النائم كأنها أقبلت عليه غنمه كلها تنطحه، فأتت السخلة تحامي عنه، فلما انتبه قال: والله لأجعلنّ أتباعك كثيرة، وكان بعد ذلك يعطي ويقسم».

٢ ـ أن فيها تطهير البدن من الذنوب: كما قال الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التّوبَة، الآية: ١٠٣] .

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله إلا جاء يوم القيامة شجاعاً من نار، فيكوى بها جبهتُه وجنبُه وظهره في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يُقضى بين الناس**»[٢].

٣ ـ أن فيها دفع البلاء والأمراض: عن الحسن ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**حصّنوا أموالكم بالزكاة، وداووا مرضاكم بالصدقة، واستقبلوا أمواج البلاء بالدعاء والتضرّع**».

٤ ـ أن فيها إدخال السرور على المساكين، وأفضل الأعمال إدخال السرور على المؤمنين.

دعاء منصور بن عمار للمتصدق

كان رجل يشرب مع جمع من ندمائه، ودفع إلى غلام له أربعة دراهم

(١) ضعيف جداً، تقريب التهذيب. (٢) رواه النسائي.

وأمره أن يشتري له شيئاً من الفواكه للمجلس، فمرَّ الغلام بباب مسجد منصور بن عمار وهو يسأل الفقير شيئاً ويقول: «من دفع له أربع دراهم دعوت له أربع دعوات» فدفع الغلام الدراهم، فقال المنصور: «ما الذي تريد أن أدعوه لك؟» فقال: «لي سيّد أريد أن أتخلص من ملكته»، فدعا له منصور، ثمّ قال: «الأخرى؟» فقال: «أن يخلف الله عليّ دراهمي» فدعا له، ثمّ قال: «الأخرى؟» فقال: «أن يتوب الله على سيّدي». فدعا له، ثمّ قال: «الأخرى؟» فقال: «أن يغفر الله لي ولسيدي ولك وللقوم» فدعا منصور له. فرجع الغلام إلى سيّده فقال: «لم أبطأت؟» فقصّ عليه القصّة، قال سيّده: «وبم دعا لك منصور؟» فقال الغلام: «سألت لنفسي العتق» فقال: «اذهب فأنت حرّ»، ثم قال: «وأي شيء الثاني»؟ فقال: «يخلف الله عليَّ الدراهم» فقال: «لك أربعة آلاف درهم» ثم قال: «وأي شيء الثالث»؟ فقال: «أن يتوب الله عليك» فقال: «تبتُ إلى الله» ثم قال: «وأي شيء الرابع»؟ فقال: «أن يغفر الله لي ولك ولمنصور وللقوم» فقال: «هذا الواحد ليس إليّ» فلمّا بات رأى في المنام كأنّ قائلاً يقول له: «أنت فعلت ما إليك، أترى أني لا أفعل ما إليّ! فقد غفرت لك وللغلام ولمنصور وللقوم الحاضرين».

أحب الطاعات إلى جبريل

عن محمد بن إسماعيل البخاري قال:

«بلغنا أنّ الله تعالى أوحى إلى جبريل عليه السلام: يا جبريل لو بعثتك إلى الدنيا وجعلتك من أهلها ما الذي عملت من الطاعات فيها؟ فقال جبريل: أنت أعلم بشأني منّي، ولكنني كنت أعمل ثلاثة أشياء: أولها كنت أعين صاحب العيال في النفقة على عياله، ثانياً كنت أستر عيوب الخلق وذنوبهم حتى لا يعلم أحد من خلقك عيوب عبادك وذنوبهم غيرك، ثالثاً أسقي العطشان وأرويه من الماء».

خصال الصدقة في الآخرة

١ ـ تكون الصدقة ظلاً لصاحبها في شدّة الحرّ: عن شداد بن أوس رضي الله عنه

قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من أنظر معسراً أو تصدّق عليه أظلّه الله في ظلّه يومَ القيامة**»(١).

روى الحسن رحمه الله عن النبيّ ﷺ قال: «**يؤتى بالعبد يوم القيامة فيعتذر الله تعالى إليه، كما يعتذر الرجل إلى الرجل في الدنيا فيقول جل سلطانه وعظم شأنه: وعزتي وجلالي، ما زويتُ الدنيا عنك لهوانك عليّ، ولكن لما أعددت لك من الكرامة والفضيلة، اخرج يا عبدي إلى هذه الصفوف، وانظر من أطعمك فيَّ، أو كساك فيَّ يريد بذلك وجهي فخذ بيده فهو لك، والناس يومئذ قد ألجمهم العرق، فيتخلل الصفوف وينظر من فعل ذلك به، فيأخذ بيده فيدخله الجنّة**»(٢).

٢ ـ أن فيها خفّة الحساب: عن عقبة بن عامر رضي الله عنه، قال: قال عليه الصلاة والسلام: «**إنّ الصدقة لتطفىء عن أهلها حرّ القبور، وإنّما يستظلُّ المؤمن يوم القيامة في ظلّ صدقته**»(٣).

روي عن عائشة رضي الله عنها، أنها كانت جالسةً ذات يوم إذ جاءتها امرأةٌ سترت يدها في كُمِّها، فقالت لها عائشة رضي الله عنها: ما لك لا تخرجين يدك من كمّك؟

قالت: لا تسأليني يا أمّ المؤمنين.

قالت عائشة رضي الله عنها: لا بُدَّ لكِ أن تخبريني.

قالت: يا أمّ المؤمنين، إنّه كان لي أبوان، فكان أبي يحبّ الصدقة، وأما أمّي فكانت تبغض الصدقة، فلم أرها تصدّقت بشيء إلا قطعة شحم وثوباً خَلِقاً، فلمّا ماتا، رأيت في المنام كأنّ القيامة قد قامت، والجحيم سُعِّرَت، والجنّة أُزلفت، ورأيت أمي قائمة بين الخلق،

---

(١) رواه الطبراني.

(٢) رواه الخطيب في تاريخ بغداد، وابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج.

(٣) رواه الطبراني والبيهقي.

والخلقة موضوعة على عورتها، والشحمة بيدها، وهي تلحسها، وتنادي: واعطشاه، ورأيت أبي على شفير الحوض وهو يسقي الماء، ولم يكن عند أبي صدقة أحبّ إليه من سقي الماء، فأخذت قدحاً من ماء فسقيت به أمي العطشى، فنودي من فوق: ألا من سقاها شُلَّت يدهُ، فاستيقظت وقد شُلَّت يدي[١].

٣ ـ إنها تثقل الميزان: عن أبي ذرّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«تعبَّد عابدٌ من بني إسرائيل فعبد الله في صومعتِهِ[٢] ستين عاماً، فأمطرت الأرض، فاخضرّت، فأشرف الراهب من صومعته فقال: لو نزلتُ فذكرتُ الله فازددت خيراً، فنزل ومعه رغيف أو رغيفان، فبينما هو في الأرض لقيته امرأةٌ، فلم يزل يكلّمها وتُكلمُه حتى غَشِيَها** ـ أي زنا بها ـ **ثمّ أغميَ عليه، فنزل الغدير يستحم، فجاء سائل، فأومأ إليه أن يأخذ الرغيفين، ثم مات، فوزنت عبادة ستين سنةً بتلك الزنيةِ، فرجحتِ الزنيَة بسيئاته، ثم وضع الرَّغيف أو الرَّغيفان مع حسناتِه فرجت حسناتُه فغفِر له»**[٣].

٤ ـ جواز على الصراط: عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من فرَّج عن مسلمٍ كُربةً جعل الله تعالى له يوم القيامة شعبتين من نور على الصراط، يستضيء بضوءيها عالَمٌ لا يحصيهِم إلا ربُّ العزّة»**[٤].

أقوال خالدة

قال عبد العزيز بن عمير: «الصلاة تبلغك نصف الطريق، والصوم يبلغك باب الملك، والصدقة تدخل عليه».

وقال عبيد بن عمير: «يحشر النّاس يوم القيامة أجوع ما كانوا قطّ،

(١) تنبيه الغافلين للسمرقندي ـ باب: ما تدفع الصدقة عن صاحبها.
(٢) صومعته: بيته أو كهف.
(٣) رواه ابن حبّان في صحيحه.
(٤) رواه الطبراني وهو غريب.

وأعطش ما كانوا قطّ، فمن أطعم لله أشبعه الله، ومن سقى لله سقاه الله، ومن كسا لله كساه الله».

قال بكر الزجاج لمعروف الكرخي في علته التي مات فيها، وأوصى وقال: «إذا متُّ فتصدقوا بقميصي هذا، فإني أحب أن أخرج من الدنيا كما دخلت إليها عرياناً».

أنفق ينفق عليك

ويقال من منع خمساً منع الله منه خمساً:

١ ـ من منع الزكاة منع الله منه حفظ المال.

٢ ـ من منع الصدقة منع الله منه العافية.

٣ ـ من منع العشر منع الله منه بركة أرضه ـ أي زكاة أرضه ـ.

٤ ـ من منع الدعاء منع الله منه الإجابة.

٥ ـ من تهاون في الصلاة منع الله منه عند الموت قول: لا إله إلا الله.

لم يتصدق فصار منافقاً: ثعلبة بن حاطب

سبب نزول هذه الآيات:

يقول الله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [التوبة، الآيات: ٧٥ ـ ٧٧].

وقد ورد فيه حديث رواه ابن جرير عن أبي أمامة الباهلي: عن ثعلبة بن حاطب الأنصاري أنه قال لرسول الله ﷺ: «ادع الله أن يرزقني مالاً»، فقال رسول الله ﷺ: «**ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خيرٌ من كثير لا تطيقه**» قال: ثم قال مرة أخرى، فقال رسول الله ﷺ: «**أما ترضى أن تكون مثل نبي الله؟ فوالذي نفسي بيده لو شئت أن تسير الجبال معي ذهباً وفضة لسارت**» قال ثعلبة: والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله فرزقني مالاً لأعطينَّ

كل ذي حقٍ حقه، فقال رسول الله ﷺ: «**اللهم ارزق ثعلبة مالاً**»، فاتخذ ثعلبة غنماً فنمت كما ينمو الدود، وصار ثعلبة يصلي الظهر والعصر جماعة، ويترك ما سواهما، حتى ترك الصلوات إلا الجمعة، حتى ترك الجمعة، فقال رسول الله ﷺ: «**ما فعل ثعلبة؟**» فقالوا: يا رسول الله اتخذ غنماً، وانشغل بتجارته حتى انقطع عن الصلوات، فقال رسول الله ﷺ: «**يا ويح ثعلبة، يا ويح ثعلبة، يا ويح ثعلبة**».

وأُنزل قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ [التوبة، الآية: ١٠٣]، فبعث رسول الله ﷺ رجلين على الصدقة من المسلمين، وكتب لهما كيف يأخذان الصدقة من المسلمين، وقال: «**مرَّا بثعلبة وبفلان** ـ رجل من بني سليم ـ **فخذا صدقاتهما**». فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة، وأقرآه كتاب رسول الله ﷺ، فقال: ما هذه إلا جزية، ما هذه إلا أخت الجزية ـ والجزية فرضت على النصارى في أرض المسلمين ـ ثم قال ثعلبة: انطلقا حتى تفرغا ثم عودوا إلي، فانطلقا، وسمع بهما السلمي، فنظر إلى أفضل إبله فعزلها للصدقة، ثم استقبلهما بها، فلما رأوها قالوا: ما يجب عليك هذا، وما نريد أن نأخذ هذا منك، فقال: بل خذوها، فإن نفسي بذلك طيبة راضية، فأخذاها منه، ومرا على الناس فأخذا الصدقات، ثم رجعا إلى ثعلبة فقال: أروني كتابكما، فقرأه فقال: ما هذه إلا جزية، ما هذه إلا أخت الجزية! انطلِقا حتى أرى رأيي، فانطلقا حتى أتيا النبيّ ﷺ، فلما رآهما قال: «**ويح ثعلبة**» قبل أن يكلمهما، ودعا للسلمي بالبركة، فأخبراه بالذي صنع ثعلبة والذي صنع السلمي، فأنزل قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ﴾ [التوبة، الآية: ٧٥]، ولما عرف نفسه أنه أصبح من المنافقين صار يبكي ويضع على رأسه التراب لأنّ رسول الله ﷺ لم يقبل صدقته في حياته، فلما قبض ﷺ عرضها على أبي بكر فلم يقبلها، ثم عرضها على عمر فلم يقبلها حتى مات في خلافة عثمان رضي الله عنه[١].

---

(١) رواه ابن حاتم في تفسير ابن كثير.

obeikandi.com

الإيثار عند أصحاب النبي ﷺ

ذكر في الخبر أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ أُهدي إليه رأسَ شاة، فقال: «أخي فلان أحوج مني»، فبُعِثت إليه، فقال الذي بعثت إليه: «إن فلان أحوج مني» فلم يزل يبعث واحد إلى واحد حتى تداولت سبعة أبيات ثم رجع إلى الأول، لقوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر، الآية: ٩].

الحكم الرفاعية

قال الرفاعي رضي الله عنه: «الصلاة على النبي ﷺ تسهل المرور على الصراط، وتجعل الدعاء مستجاباً، والصدقة تزيل غضب الله».

وقال زين العابدين: «إن الصدقة في الليل تطفىء غضب الرب».

وأما السائل فلا تنهر

حكي أن رجلاً جلس يوماً يأكل هو وزوجته، وبين أيديهما دجاجة، فوقف سائل ببابه، فخرج إليه وانتهره فذهب. وكان بعد ذلك أن الرجل افتقر، وزالت نعمته، وطلق زوجته، وتزوجت بعده برجل آخر، فجلس يأكل معها في بعض الأيام، وبين أيديهما دجاجة، وإذ بسائل يطرق الباب، فقال الرجل لزوجته: «ادفعي هذه الدجاجة للسائل» فخرجت فإذا هو زوجها الأول، فدفعت إليه الدجاجة ورجعت وهي باكية، فسألها زوجها وذكرت له قصتها مع ذلك السائل الذي انتهره زوجها الأول، فقال لها زوجها: «والله أنا ذلك السائل».

رأيته دخل الجنة بقميص

جاء رجل من أهل الشام فقال: «دلوني على صفوان بن سليم، فإني رأيته دخل الجنة»، فقلت: «بأي شيء؟» قال: «بقميص كساه إنساناً». قال بعضهم: سألت صفوان عن قصة القميص فقال: «خرجت من المسجد في ليلة باردة فإذا رجل عريان فنزعت قميصي فكسوته».

سعيد بن عامر الجمحي رجل اشترى الآخرة بالدنيا وآثر الله ورسوله على سواهما

هاجر سعيد بن عامر إلى المدينة، ولزم رسول الله صلوات الله عليه وشهد معه خيبر وما بعدها من الغزوات. ولما انتقل النبي الكريم إلى جوار ربه وهو عنه راضٍ، ظلّ من بعده سيفاً مسلولاً في أيدي الخليفة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. وفي خلافة عمر رضي الله عنه قال له سيدنا عمر: «يا سعيد إنّا مُوَلُّوك على أهل حمص» فقال سعيد: «نشدتُكَ الله لا تفتنّي» فغضب عمر وقال: «ويحكم وضعتم هذا الأمر في عنقي ثم تخلَّيتم عنّي، والله لا أدعك» ثم ولّاه على حمص.

بذل سعيد للفقراء

وما هو إلا قليل حتى وفد على أمير المؤمنين وفد من أهل حمص، فقال لهم: «اكتبوا لي أسماء فقرائكم حتى أسدّ حاجتهم»، فرفعوا كتاباً فإذا فيه فلان، وفلان، وسعيد بن عامر، فقال: «ومن سعيد بن عامر؟» قالوا: «أميرنا»، قال: «أميركم فقير!» قالوا: «نعم، ووالله إنه لتمرُّ عليه الأيام الطوالُ، ولا يوقد في بيته نار» فبكى عمر حتى بلت لحيته، ثم عمد إلى ألف دينار فجعلها في صرة وقال: «اقرؤوا عليه السلام مني وقولوا له: بعث إليك أمير المؤمنين بهذا المال لتستعين به على قضاء حاجاتك».

جاء الوفد لسعيد بالصرة، فنظر إليها فإذا هي دنانير، فجعل يبعدها ويقول: «إنا لله وإنّا إليه راجعون» كأنما نزلت به نازلة أو مصيبة، فهبت زوجته مذعورة وقالت: «ما شأنك يا سعيد؟ أمات أمير المؤمنين؟»، قال: «بل أعظم من ذلك»، قالت: «وما أعظم من ذلك؟» قال: «دخلت علي الدنيا لتفسد آخرتي، وحلت الفتنة في بيتي» قالت: «تخلص منها ـ وهي لا تدري من أمر الدنانير شيئاً ـ» قال: «أو تعينيني على ذلك؟» قالت: «نعم» فأخذ الدنانير فجعلها في صرر ثم وزعها على فقراء المسلمين.

شكوى أهل حمص على سعيد

أتى عمر بن الخطاب ﵁ ديار الشام يتفقد أحوالها، فلما نزل بحمص لقيه أهلها للسلام عليه، فقال سيدنا عمر: «كيف وجدتم أميركم؟» فشكوه إليه وذكروا أربعاً من أفعاله، قال عمر: «فجمعت بينه وبينهم، ودعوت الله ألا يخيب ظني فيه، فقد كنت عظيم الثقة به، فلما أصبحوا عندي هم وأميرهم، قلت: ما تشكون من أميركم؟ قالوا: «لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار» فقلت: «وما تقول في ذلك يا سعيد؟» فسكت قليلاً ثم قال: «والله إني كنت أكره أن أقول ذلك، أما وإنه لا بد منه، فإنه ليس لأهلي خادم، فأقوم كل صباح، فأَعْجِن لهم عجينهم، ثم أتريث قليلاً حتى يختمر، ثم أخبزه لهم، ثم أتوضأ وأخرج للناس» قال عمر: «فقلت لهم: وماذا تشكون منه أيضاً؟» قالوا: «إنه لا يجيب أحداً بليل» قلت: «وما تقول في ذلك يا سعيد؟» قال: «إني والله أكره أن أعلن هذا أيضاً، قد جعلت لهم النهار والليل لله ﷻ» قلت: «وما تشكون منه أيضاً؟» قالوا: «إنه لا يخرج إلينا يوماً في الشهر» قلت: «وما هذا يا سعيد؟» قال سعيد: «ليس لي خادم يا أمير المؤمنين، وليس عندي ثياب غير التي عليَّ، فأنا أغسلها في الشهر مرّة، وأنتظرها حتى تجفّ، ثم أخرج إليهم في آخر النهار» قال: «وما تشكون منه أيضاً؟» قالوا: «تصيبه من حين لآخر غشيةٌ فيغيب عمن في مجلسه» قال: «وما هذا يا سعيد؟» فقال: «شهدت مصرع خبيب بن عدي وأنا مشرك، ورأيت قريش تقطع جسده وهي تقول: أتحب أن يكون محمد مكانك؟ فيقول: والله ما أحبّ أن أكون آمناً في أهلي وولدي وأن محمداً تشوكه شوكة، وإني والله ما ذكرتُ ذلك اليوم، وكيف أني تركت نصرته إلا ظننت أن الله لن يغفر لي، وأصابتني تلك الغشية»، عند ذلك قال عمر: «الحمد لله الذي لم يخيب ظني به» ثم بعث له بألف دينار ليستعين بها على حاجته، فلما رأتها زوجته قالت له: «الحمد لله الذي أغنانا عن خدمتك، اشتر لنا مؤونة، واستأجر لنا خادماً» فقال لها: «وهل لك فيما هو خير من ذلك؟» قالت: «وما ذاك؟» قال: «ندفعها إلى من يأتينا بها ونحن أحوج ما

نكون إليها، نقرضها الله قرضاً حسناً» قالت: «نعم وجزيت خيراً» فما غادر من مجلسه حتى جعل الدنانير في صرر، وقال لواحد من أهله: «انطلق بها إلى أرملة فلان، وإلى أيتام فلان» حتى وزّعها جميعاً، رضي الله عن سعيد بن عامر الجمحي، كان من الذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة.

إلى من تعطى الصدقات

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ [التوبة، الآية: ٦٠].

مصارف الزكاة

لم يدع الإسلام صرف الزكاة لأهواءِ الحاكمين حتى لا ينفقوها على مظاهر الترف لهم، ولا كذلك لرغبات الطامعين الذين لا يستحقونها. كي لا يكون المال دُولة بين أيدي طبقة وممنوعاً على طبقة أخرى، إنما حددت الجهات والمصارف وهي ثمانية:

١ ـ الفقراء: وهم أناس لا يملكون شيئاً أو ما يملكون ما دون النصاب، وكلمة «فقير» معناها الذي أتعبت الحياة فقار ظهره أي فقرات ظهره، وحاله يغني للتعبير عنه.

والمسكين هو الذي أذهلته المسكنة فقال بعضهم: إن الفقير الذي لا يجد شيئاً فهو معدم، والمسكين هو من يملك شيئاً ولكنه لا يكفيه، وعلى هذا يكون المسكين أحسن حالاً من الفقير، واستندوا لقوله تعالى: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ [الكهف، الآية: ٧٩] وما دام أن هؤلاء المساكين يملكون سفينة إذاً فعندهم شيء يملكونه ولكن العائد الذي تأتي به السفينة لا يكفيهم.

٢ ـ المساكين: هم أناسُ كالفقراء في الحاجة غير أنهم أحسن حالاً وأكثر تجملاً وسكوناً منهم.

obeikandl.com

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ليس المسكين بهذا الطواف الذي يطوف على الناس فترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان**»، قالوا: فما المسكين يا رسول الله؟ قال: «**الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه ولا يسأل الناس شيئاً**»(١).

وجاء رجلان إلى النبي ﷺ في حجة الوداع وهو يقسم الصدقة فسألاه منها فرفع فيهما البصر وخفضه فرآهما جلدين ـ قويين ـ فقال: «**إن شئتما أعطيتكما ولا حظ فيها لغنيٍّ ولا لقويٍّ مكتسب**»(٢).

لماذا هنا خيّرهما رسول الله ﷺ؟

لأن الواجب على المسلم أن يعمل ويأنف البطالة، قال ﷺ: «**ما أكل أحد طعاماً قط خير من أن يأكل من عمل يده**»(٣).

٣ ـ العاملون عليها: الذين يقومون بجمع الصدقات ويأخذونها ممن يعطيها ويضعونها في بيت المال، وتوزع من بيت المال فلا يتعالى أحد ولا يذل أحد أمام أحد وفي هذا حفظ لكرامة المؤمنين، لأن من يأخذ من غير بيت المال سيعاني من انكسار يده السفلى، ومن يعطي لغير بيت المال قد يكون في عطائه لون من تعالي ورياء صاحب اليد العليا.

فإن أخذ الفقراء الصدقة من بيت المال كان في ذلك صيانة لكرامة الجميع ولا يجوز أن يكونوا من أقرباء رسول الله ﷺ الذين تحرم عليهم الصدقة، لما ثبت عن عبد المطلب بن الحارث أنه انطلق هو والفضل بن العباس يسألان رسول الله ﷺ يستعملها على الصدقة قال: «**إن الصدقة لا تحلّ لمحمد ولا لآل محمد إنما هي أوساخ الناس**»(٤).

---

(١) رواه الشيخان.
(٢) رواه أبو داود والنسائي.
(٣) رواه البخاري.
(٤) رواه مسلم.

٤ ـ المؤلفة قلوبهم: فقسم منهم من يعطى ليسلم كما أعطى النبي ﷺ صفوان بن أمية من غنائم حنين، وقد كان شهدها مشركاً كما قال الإمام أحمد عن صفوان بن أمية قال: أعطاني رسول الله ﷺ يوم حنين وإنه لأبغض الناس إلي فما زال يعطيني حتى أنه لأحب الناس إلي. ومنهم من يعطى ليحسن إسلامه ويثبت قلبه كما أعطى يوم حنين أيضاً جماعة من صناديد قريش وأشرافهم مائة من الإبل وقال: «**إني لأعطي الرجل وغيره أحب إليَّ منه خشية أن يكبه الله على وجهه في نار جهنم**».

٥ ـ في الرقاب: معناها العبيد الذين أسروا في حرب مشروعة وبعض من الناس، يدّعون أن الإسلام جاء بالرق وأقره، ونقول: لم يأت الإسلام بالرق لأن الرق كان موجوداً قبل البعثة المحمدية، وجاء الإسلام بالعتق فجعل من فك الرقبة كفارة لبعض الذنوب، وجعل من مصارف الزكاة عتق العبيد، ومن قتل خطأ كفارته تحرير رقبة لقوله تعالى: ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟﴾ [النّساء، الآية: ٩٢].

وكفارة اليمين لقوله تعالى: ﴿فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [المَائدة، الآية: ٨٩].

وعن البراء بن عازب قال: جاء رجل فقال: يا رسول الله دلني على عمل يقربني من الجنة ويباعدني من النار فقال: «**أعتق النسمة وفك الرقبة**». فقال: يا رسول الله أوَ ليسا واحداً؟ قال: «**لا، عتق النسمة أن تفرد بعتقها، وفك الرقبة أن تعين في ثمنها**»[1].

٦ ـ الغارمين: هم من أرهقتهم الدُّيون.

الغارم: هو من استدان في غير معصية ثم عجز عن الوفاء بدينه ولم

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند.

يمهله صاحب الدَيْن ولم يسامحه ولم يتنازل عن دَيْنه، والسر في هذا التشريع فلقد شاء الحق إعطاء الغارم الذي لا يجد ما يسد به دينه حتى لا يجعل الناس ينقلبون عن الكرم وعن إقراض الذي يمر بعسر.

أو الغارم هو الذي أراد أن يصلح بين طرفين كأن يكون هناك شخصان مختلفان على مبلغ من المال فيقوم هو بفض الخلاف ودفع المبلغ ثم تسوء حالته لأنه عزم هذا المال بنخوة إيمانية، فنقول له خذ من بيت المال حتى يشيع في النفوس تصفية الخلافات وإشاعة الحب بين الناس.

٧ - وفي سبيل الله: هو الطريق الموصل إلى مرضاته، وخصّه جمهور الفقهاء في الجهاد والقتال، والمراد بالجهاد هنا الجهاد الإسلامي، لقوله ﷺ: **«من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»**(١).

وفي سبيل الله كل ما يتعلق بمصارف البر مثل: بناء المساجد المدارس والمستشفيات.

٨ - وابن السبيل: يريد الحق سبحانه أن يكفل عباده وهم غرباء في غير وطنهم وأرضهم من أي مفاجأة قد تجعلهم في عسر، فالذين سافروا سياحة مثلاً ثم أصيبوا بكارثة أوجب الحق مساعدتهم، والذين سافروا طلباً للرزق ولم يوفقوا أوجب الله ﷻ مساعدتهم، لأن الحق ﷻ يريد من عباده أن يسيروا في الأرض ليروا آياته وليبتغوا الرزق.

إذاً: فابن السبيل هو كل غريب صادفته ظروف صعبة ولا يجد ما يعود به إلى بلده.

ما يرشد إليه الحديث تربوياً ودعوياً:

١ - إن الصدقة أفضل معروف يقدمه الإنسان لأخيه الإنسان، ولم نقل

(١) متفق عليه.

يقدمه المؤمن لأخيه المؤمن، لأن الصدقة واجبة في جميع الأديان، والمولى تعالى في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه.

٢ ـ إن أسرع طريقة لتكثير المال وزيادته هي الصدقة، نعم... الصدقة فيها تطهير المال، لأن العبد آثر مرضاة الله تعالى على مرضاة نفسه، لأن النفس من طبيعتها حب المال، وعدم بذله، وكلما بذل الإنسان المال رضي الله عنه.

٣ ـ من يعطي المال للفقراء كانت الجائزة عظيمة له، ففي الدنيا رفع البلاء والأمراض، وتطهير القلب من الذنوب، وأفضل الأعمال إدخال السرور على المحتاجين، وفي الآخرة هي ظلٌ لصاحبها في شدّة الحرّ، وفيها خفّة الحساب، وجواز الصراط.

openkandl.com